سورةُ البُرُوجِ

الجزء الأول

من الآية (1) إلى الآية (8)

أسماء السورة:

■سُمِّيت هذه السُّورةُ بسورةِ (البُروجِ).

■وسُمِّيتْ أيضًا بـ (السَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ)؛ فعن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضيَ الله عنه:((أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يَقرَأُ في الظُّهرِ والعصرِ بـ «السَّماءِ والطَّارقِ»، و «السَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ» ونَحْوِهما مِنَ السُّوَرِ)).

فضائل السورة وخصائصها:

■كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقرأُ بها في الظُّهرِ والعَصرِ: كما في حديثِ جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضيَ الله عنه المتقدِّمِ.

بيان المكي والمدني:

■سورةُ البُروجِ مكِّيَّةٌ، نقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرينَ.

مقاصد السورة:

■مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ: تسليةُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأصحابِه عمَّا أصابَهم مِن أعدائِهم، وتثبيتُ المؤمنينَ على الحقِّ.

موضوعات السورة:

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- افتِتاحُ السُّورةِ بقَسَمِ الله تعالى ببَعضِ مَخلوقاتِه.

2- ذِكرُ خبرِ أصحابِ الأُخْدودِ.

3- وعيدُ الطُّغاةِ الَّذين يَفْتِنونَ المؤمنينَ بعذابِ جهنَّمَ.

4- البِشارةُ بنَعيمِ الجنَّةِ الَّذي يَنتظِرُ المؤمنينَ.

5- التَّلويحُ ببَطشِ الله الشَّديدِ، وذِكرُ بعضِ صِفاتِه تعالى.

6- ضربُ المثَلِ بقَومِ فِرعونَ وبثَمودَ، وكيفَ كانت عاقِبةُ أمرِهم.

7- التَّنويهُ بشأنِ القرآنِ المجيدِ.

يَدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ حَوْلَ العقيدة الإسلامية، وَحَادِثَةِ(أَصْحَاب الأُخْدُودِ) وَهِيَ قِصَّةُ التَّضْحِيَةِ بالنَّفْسِ فِي سَبِيلِ العَقِيدَةِ الإِيمَانِ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾﴿1﴾

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) أي: أُقسِمُ بالسَّماءِ ذاتِ النُّجومِ العَظيمةِ الَّتي هي بمنزلةِ مَنازِلَ للشَّمسِ والقَمَرِ في مَسيرِهما. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: [ذات] المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته، وسعة علمه وحكمته.

قال الشنقيطي في أضواء البيان: وهذه البروج هي: الحَمَلُ والثَّورُ والجَوْزاءُ والسَّرطانُ والأسدُ والسُّنبُلةُ والميزانُ والعَقْربُ والقَوسُ والجَدْيُ والدَّلْوُ والحُوتُ، فثلاثةٌ منها للرَّبيعِ، وثلاثةٌ للصَّيفِ، وثلاثةٌ للخريفِ، وثلاثةٌ للشِّتاءِ.

يقول ابن القيم –رحمه الله تعالى–: "البروج: التي تنزلها الشمس والقمر، وفسرت بالنجوم أو نوع منها، وفسرت بالقصور العظام، وكل ذلك من آيات قدرته، وشواهد وحدانيته.

قال د. خالد السبت : منازل الشمس في كل شهر في واحد: اثنا عشر، ويكون بناء على ذلك تغير الفصول بإذن الله –تبارك وتعالى–، يعني: مثل عقارب الساعة، فثلاثة للشتاء، وثلاثة للصيف، وثلاثة للربيع، وثلاثة للخريف، هذا بالنسبة للشمس، أما القمر ففي ثمانية وعشرين منزلاً، ويختفي القمر في ليلتين (يسير يومين وثلث اليوم).خالد السبت

كما قال تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا [الفرقان: 61] .

وقال الله سُبحانَه وتعالى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا [الحجر: 16].

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾﴿2﴾

(وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) أي: وأُقسِمُ بيَومِ القيامةِ الَّذي وَعَد اللهُ تعالى عِبادَه بمَجيئِه والقَضاءِ فيه بيْنَهم، فيَبعَثُهم ويُحاسِبُهم ويُجازيهم فيه على أعمالِهم. موسوعة التفسير

قال السعدي: وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾﴿3﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان الجَمْعُ مِن أجْلِ العَرْضِ، وكان العَرْضُ لا بُدَّ فيه مِن شُهودٍ ومَشهودٍ عليهم وجدالٍ على عُهودٍ؛ قال

(وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) أي: وأُقسِمُ بكلِّ شاهِدٍ وكلِّ مَشهودٍ. موسوعة التفسير

وقال السعدي: (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ وشمل هذا كلَّ مَنِ اتَّصَف بهذا الوصفِ، أي: مُبصِرٍ ومُبصَرٍ، وحاضرٍ ومَحضورٍ، وراءٍ ومَرئيٍّ). والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة.

قال ابن عثيمين: (ذكَرَ عُلَماءُ التَّفسيرِ في الشَّاهِدِ والمشهودِ عِدَّةَ أقوالٍ يَجمَعُها أنَّ اللهَ أقسَمَ بكلِّ شاهِدٍ وبكُلِّ مَشهودٍ، والشُّهودُ كثيرونَ؛ منهم محمَّدٌ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّمَ شهيدٌ علينا، كما قال الله تعالى: وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء: 41]، ومنهم هذه الأمَّةُ شُهَداءُ على النَّاسِ وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ [البقرة: 143]، وأعضاءُ الإنسانِ يومَ القيامةِ تَشهَدُ عليه بما عَمِلَ مِن خَيرٍ وشَرٍّ، كما قال تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [النور: 24]، ومنهم الملائكةُ يَشهَدونَ يومَ القيامةِ، فكُلُّ مَن شَهِد بحَقٍّ فهو داخِلٌ في قَولِه: وَشَاهِدٍ. وأمَّا المشهودُ فهو يومُ القيامةِ وما يَعرِضُ فيه مِن الأهوالِ العظيمةِ، كما قال تعالى: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ [هود: 103] ، فأقسَمَ اللهُ بكُلِّ شاهِدٍ وبكُلِّ مَشهودٍ).

وأيضاً فالشاهد هو: المطلّع والرقيب والمخبِر، والمشهود هو: المطلع عليه المخبر به المشاهد.

قال الطبري: فقال بعضهم: معنى ذلك: وأقسم بشاهد، قالوا: وهو يوم الجمعة، ومشهود قالوا: وهو يوم عرفة.

قال ρ :" اليومُ الموعودُ يومُ القيامةِ ، واليومُ المشهودُ يومُ عرفةَ ، والشاهدُ يومُ الجُمُعةِ ، وما طَلَعَتِ الشمسُ ولا غَرَبَتْ ، على يومٍ أفضلَ منه ، فيه ساعةٌ لا يوافقُها عبدٌ مسلمٌ يَدْعُو اللهَ بخيرٍ إلا استجاب اللهُ له ، ولا يستعيذُ من شرٍّ إلا أعاذه اللهُ منه" صحيح الجامع

قال اللهُ تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ إنْ قيلَ: ما وَجهُ الارتباطِ بيْن هذه الأُمورِ الثَّلاثةِ المقسَمِ بها؟ قال ابن القيم: قيل: هي بحَمْدِ اللهِ في غايةِ الارتباطِ، والإقسامُ بها مُتناوِلٌ لكُلِّ مَوجودٍ في الدُّنيا والآخِرةِ، وكُلٌّ منها آيةٌ مُستقِلَّةٌ دالَّةٌ على رُبوبيَّتِه وإلهيَّتِه؛ فأقسَمَ بالعالَمِ العُلويِّ، وهو السَّماءُ وما فيها مِن البُروجِ الَّتي هي أعظَمُ الأمكِنةِ وأوسَعُها، ثمَّ أقسَمَ بأعظَمِ الأيَّامِ، وأجَلِّها قَدْرًا، الَّذي هو مَظهَرُ مُلْكِه، وأمْرِه ونَهْيِه، وثَوابِه وعِقابِه، ومَجمَعُ أوليائِه وأعدائِه، والحُكْمِ بَيْنَهم بعِلْمِه وعَدْلِه، ثمَّ أقسَمَ بما هو أعَمُّ مِن ذلك كُلِّه، وهو الشَّاهِدُ والمشهودُ، وناسَبَ هذا القسَمَ ذِكرُ أصحابِ الأُخدودِ الَّذين عَذَّبوا أولياءَه وهم شُهودٌ على ما يَفعَلونَ بهم.

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾﴿4﴾

(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) أي: أُهْلِكَ ولُعِنَ أولئك الكَفَرةُ الَّذين شَقُّوا في الأرضِ خَنْدَقًا كَبيرًا. موسوعة التفسير

قال السعدي:﴿الأخدود﴾ الحفر التي تحفر في الأرض.

والمقسم عليه، ✸ما تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة.

✸وقيل: إن المقسم عليه قوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) وهذا دعاء عليهم بالهلاك.

✸وقيل المقسم عليه محذوف (لتبعثن).

✸وقيل المقسم به والمقسم عليه متحدان .والله اعلم

قال ابن عاشور: ابتُدِئتْ أغراضُ هذه السُّورةِ الكريمةِ بضَربِ المثَلِ للَّذين فَتَنوا المسلِمينَ بمكَّةَ بأنَّهم مِثلُ قَومٍ فَتَنوا فريقًا ممَّن آمَنَ بالله، فجَعَلوا أُخْدودًا مِن نارٍ لتَعْذيبِهم؛ ليَكونَ المثَلُ تَثْبيتًا للمُسلِمينَ، وتَصْبيرًا لهم على أذَى المشرِكين، وتذكيرًا لهم بما جَرى على سَلَفِهم في الإيمانِ مِن شِدَّةِ التَّعذيبِ الَّذي لم يَنَلْهم مِثلُه، ولم يَصُدَّهم ذلك عن دِينِهم. وإشعارِ المسلِمينَ بأنَّ قوَّةَ اللهِ عَظيمةٌ، فسَيَلْقى المشرِكون جَزاءَ صَنيعِهم، ويَلْقى المسلِمونَ النَّعيمَ الأَبَديَّ والنَّصرَ. والتَّعريضِ للمُسلِمينَ بكَرامتِهم عندَ اللهِ تعالَى. وضربِ المثَلِ بقَومِ فِرعونَ وبثَمودَ، وكيف كانت عاقِبةُ أَمْرِهم لَمَّا كَذَّبوا الرُّسُلَ، فحَصَلَتِ العِبْرةُ للمُشرِكين في فَتْنِهم المسلِمينَ، وفي تَكذيبِهم الرَّسولَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، والتَّنويهُ بشَأنِ القُرآنِ.

جُملةٌ دُعائيَّةٌ –على قولٍ– دالَّةٌ على الجَوابِ، كأنَّه قيلَ: أُقسِمُ بهذه الأشياءِ السَّابِقةِ، إنَّهم –أي: كُفَّارَ مَكَّةَ– مَلْعونون، كما لُعِنَ أصحابُ الأُخْدودِ؛ لِمَا أنَّ السُّورةَ ورَدَتْ لتَثبيتِ المؤمِنينَ على ما هُم عليه مِنَ الإيمانِ، وتَصبيرِهم على أذيَّةِ الكَفَرةِ، وتَذْكيرِهم بما جَرى على مَن تَقدَّمَهم مِنَ التَّعذيبِ على الإيمانِ وصَبرِهم على ذلك؛ حتَّى يأْتَسُوا بهم، ويَصبِروا على ما كانوا يَلْقَون مِن قَومِهم، ويَعلَموا أنَّ هؤلاءِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ بمَنزِلةِ أولئك المعَذِّبين؛ مَلْعونون مِثلَهم، أَحِقَّاءُ بأنْ يُقالَ فيهم ما قد قيلَ فيهم. فالجَوابُ دَليلٌ على لَعنةِ اللهِ على مَن فعَلَ ذلك، وطَرْدِه مِن رحمةِ اللهِ، وتَنبيهٌ لكُفَّارِ قُرَيشٍ الَّذين يُؤذونَ المؤمِنينَ ليَفتِنوهم عن دِينِهم، على أنَّهم مَلْعونونَ، بجامِعِ ما اشتَرَكا فيه مِن تَعذيبِ المؤمِنينَ. وقيل: تَقديرُ الجوابِ: إنَّ الأمرَ لَحَقٌّ في الجزاءِ على الأعمالِ، أو: لَتُبعَثُنَّ.

قال ابن كثير: (هذا خَبَرٌ عن قَومٍ مِن الكفَّارِ عَمَدوا إلى مَن عِندَهم مِن المؤْمِنينَ باللهِ عزَّ وجَلَّ، فقَهَروهم وأرَادوهم أنْ يَرْجِعوا عن دِينِهم، فأبَوْا عليهم، فحَفَروا لهم في الأرضِ أُخْدُودًا وأجَّجوا فيه نارًا، وأعَدُّوا لها وَقُودًا يُسَعِّرونَها به، ثم أرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فلم يقبلوا فقذفوهم فيها).

عن صُهَيبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كان مَلِكٌ فيمَنْ كان قَبْلَكم، وكان له ساحِرٌ، فلمَّا كَبِرَ قال للمَلِكِ: إنِّي قد كَبِرْتُ، فابعَثْ إلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْه السِّحرَ، فبَعَث إليه غُلامًا يعَلِّمُه،

فكان في طريقِه إذا سلَكَ راهِبٌ، فقَعَد إليه وسَمِعَ كلامَه، فأعجَبَه، فكان إذا أتى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهِبِ وقَعَد إليه، فإذا أتَى السَّاحِرَ ضَرَبه، فشكا ذلك إلى الرَّاهِبِ، فقال: إذا خَشِيتَ السَّاحِرَ فقُلْ: حَبَسَني أهلي، وإذا خَشِيتَ أهْلَكَ فقُلْ: حَبَسَني السَّاحِرُ، فبَيْنَما هو كذلك إذ أتَى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حَبَسَتِ النَّاسَ، فقال: اليَومَ أعلَمُ آلسَّاحِرُ أفضَلُ أمِ الرَّاهِبُ أفضَلُ؟ فأخَذ حَجَرًا، فقال: اللَّهُمَّ إن كان أمرُ الرَّاهبِ أحَبَّ إليك مِن أمرِ السَّاحِرِ فاقتُلْ هذه الدَّابَّةَ؛ حتَّى يَمضِيَ النَّاسُ، فرماها فقَتَلها، ومضى النَّاسُ، فأتَى الرَّاهِبَ فأخبَرَه، فقال له الرَّاهِبُ: أيْ بُنَيَّ، أنت اليَومَ أفضَلُ مِنِّي، قد بلَغ مِن أمْرِك ما أرَى! وإنَّك ستُبتلَى، فإنِ ابتُلِيتَ فلا تَدُلَّ علَيَّ، وكان الغُلامُ يُبرِئُ الأكْمَهَ[هو الَّذي يُولدُ أعمى] والأبْرَصَ، ويُداوي النَّاسَ مِن سائرِ الأدواءِ، فسَمِعَ جَليسٌ للمَلِكِ كان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرةٍ، فقال: ما هاهنا لك أجْمَعُ إنْ أنت شفَيْتَني، فقال: إنِّي لا أَشْفي أحدًا، إنَّما يَشفي اللهُ، فإنْ أنت آمَنْتَ باللهِ دَعَوتُ اللهَ فشَفاك، فآمَنَ باللهِ فشَفاه اللهُ، فأتَى المِلِكَ فجَلَس إليه كما كان يجلِسُ، فقال له المِلِكُ: مَن رَدَّ عليك بَصَرَك؟! قال: رَبِّي، قال: ولك ربٌّ غيري؟! قال: رَبِّي ورَبُّك اللهُ! فأخَذه فلم يَزَلْ يُعَذِّبُه حتَّى دَلَّ على الغلامِ، فجِيءَ بالغُلامِ، فقال له المِلِكُ: أيْ بُنَيَّ، قد بلَغ مِن سِحْرِك ما تُبرِئُ الأَكْمَهَ والأبْرَصَ، وتفعَلُ وتفعَلُ! فقال: إنِّي لا أَشفي أحدًا، إنَّما يَشْفي اللهُ، فأخَذَه فلم يَزَلْ يُعَذِّبُه حتَّى دَلَّ على الرَّاهِبِ، فجيءَ بالرَّاهِبِ، فقيل له: ارجِعْ عن دينِك، فأبَى، فدَعا بالمِئْشارِ ، فوضَع المِئْشارَ في مَفرِقِ رأسِه، فشَقَّه حتَّى وقع شِقَّاه! ثمَّ جيءَ بجليسِ المِلِكِ فقيل له: ارجِعْ عن دينِك، فأبى، فوُضِعَ المِئْشارُ في مَفرِقِ رأسِه، فشَقَّه به حتَّى وقع شِقَّاه! ثمَّ جيءَ بالغلامِ، فقيل له: ارجِعْ عن دينِك، فأبى، فدفعَه إلى نَفَرٍ مِن أصحابِه، فقال: اذهَبوا به إلى جبلِ كذا وكذا، فاصعَدوا به الجَبَلَ، فإذا بلَغْتُم ذِرْوتَه، فإنْ رَجَع عن دينِه وإلَّا فاطْرَحوه، فذَهَبوا به، فصَعِدوا به الجَبَلَ، فقال: اللَّهمَّ اكْفِنِيهم بما شِئْتَ، فرَجَف بهم الجبلُ فسَقَطوا، وجاء يمشي إلى المِلِكِ! فقال له المِلِكُ: ما فعَلَ أصحابُك؟! قال: كَفانِيهِمُ اللهُ، فدفعه إلى نَفَرٍ مِن أصحابِه، فقال: اذهَبوا به فاحمِلوه في قُرقُورٍ، فتوسَّطوا به البَحْرَ، فإن رجَعَ عن دينِه وإلَّا فاقذِفوه، فذَهَبوا به، فقال: اللَّهمَّ اكفِنِيهم بما شِئتَ، فانكفَأَتْ بهم السَّفينةُ، فغَرِقوا، وجاء يمشي إلى المِلِكِ! فقال له المِلِكُ: ما فعل أصحابُك؟! قال: كفانيهم اللهُ، فقال للمَلِكِ: إنَّك لستَ بقاتِلي حتَّى تَفعَلَ ما آمُرُك به، قال: وما هو؟ قال: تجمَعُ النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ، وتَصلِبُني على جِذْعٍ، ثمَّ خُذْ سَهمًا من كِنانتي[الوِعاءُ الَّذي فيه السِّهامُ]، ثمَّ ضَعِ السَّهمَ في كَبِدِ القَوسِ، ثمَّ قُلْ: باسْمِ اللهِ ربِّ الغلامِ، ثمَّ ارمِني؛ فإنَّك إذا فعَلْتَ ذلك قتَلْتَني، فجَمَع النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ، وصَلَبه على جِذعٍ، ثمَّ أخذَ سَهمًا مِن كنانتِه، ثمَّ وَضَع السَّهمَ في كَبِدِ القَوسِ، ثمَّ قال: باسمِ اللهِ رَبِّ الغُلامِ، ثمَّ رماه فوقع السَّهمُ في صُدْغِه[هو ما بيْنَ العَينِ إلى شَحمةِ الأُذُنِ]، فوَضَع يَدَه في صُدْغِه في موضِعِ السَّهمِ، فمات، فقال النَّاسُ: آمَنَّا برَبِّ الغُلامِ، آمَنَّا برَبِّ الغلامِ، آمَنَّا برَبِّ الغلامِ، فأُتِيَ المِلِكُ فقيل له: أرأَيْتَ ما كنتَ تَحذَرُ؟ قد -واللهِ- نزَل بك حَذَرُك؛ قد آمَنَ النَّاسُ! فأَمَر بالأُخدودِ في أفواهِ السِّكَكِ ، فخُدَّتْ، وأَضرَمَ النِّيرانَ، وقال: مَن لم يَرجِعْ عن دينِه

فأَحْمُوه فيها[ارْمُوه]، ففعَلوا، حتَّى جاءت امرأةٌ ومعها صَبِيٌّ لها، فتقاعَسَت أن تقَعَ فيها، فقال لها الغُلامُ: يا أُمَّهْ، اصْبِري؛ فإنَّكِ على الحَقِّ)) رواه مسلم.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾﴿5﴾

(النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ) أي: وذلك الأُخدودُ متأجِّجٌ بالنَّارِ الَّتي أُضرِمَت بالحَطَبِ أو غَيرِه حتَّى اشتَدَّ توَقُّدُها ولهيبُها، واشتَعَلَت اشتِعالًا عَظيمًا. موسوعة التفسير

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾﴿6﴾

(إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ) أي: لُعِنَ أولئك الكُفَّارُ حينَ كانوا قاعِدينَ على جوانِبِ الأُخدودِ وحافَاتِه. موسوعة التفسير

✹يَعرِضونَ المؤمِنينَ على الكُفرِ أو الإحراقِ.

﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾﴿7﴾

(وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) أي: وهم يُشاهِدونَ المؤمِنينَ يَحتَرِقونَ فيه. موسوعة التفسير

قال السعدي: وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قومًا كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشق الكافرون أخدودًا [في الأرض]، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾﴿8﴾

(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) أي: وما أنكَرَ الكُفَّارُ وكَرِهوا مِن المؤمِنينَ والمؤمِناتِ شَيئًا سِوى إيمانِهم باللهِ الممتَنِعِ عليه كُلُّ عَيبٍ ونَقصٍ، الغالِبِ الَّذي لا يُغلَبُ، المحمودِ على جميعِ صِفاتِه وأفعالِه، وشَرْعِه وقَدَرِه. موسوعة التفسير

ما فعلوا لهم شيئًا، ومع ذلك قتلوهم بهذه الطريقة التي هي في غاية الفظاعة والبشاعة، وما صدر منهم جرم، كيف لو صدر منهم شيء؟! وقوم لوط كانوا يقولون: أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ[الأعراف:82] ، فصار الطهر تهمة تستوجب النفي والإخراج من البلد، فهم يريدونهم أن يواقعوا الفاحشة؛ ولهذا جاء عن عثمان –τ–: أن المرأة الزانية تود أن كل النساء زوانٍ، حتى لا يتميز أحد بالشرف والفضيلة.

في هذه الآيةِ مِنَ العِبَرِ: أنَّ هؤلاء الكفَّارَ لم يأخُذوا على المسلمينَ ذَنْبًا إلَّا شيئًا واحدًا، وهو: أنَّهم يُؤمِنونَ باللهِ العزيزِ الحَميدِ! وهذا ليس بذَنْبٍ، بل هذا هو الحقُّ، ومَن أنْكَرَه فهو الَّذي يُنْكَرُ عليه، وهكذا المشرِكُ؛ إنَّما يَنْقِمُ على الموحِّدِ تجريدَه للتَّوحيدِ، وأنَّه لا يَشُوبُه بالإشراكِ، وهكذا المبتدِعُ؛ إنَّما يَنقِمُ على السُّنِّيِّ تجريدَه مُتابَعةَ الرَّسولِ، وأنَّه لم يَشُبْها بآراءِ الرِّجالِ، ولا بشَيءٍ ممَّا خالَفَها، فصَبرُ الموحِّدِ المتَّبِعِ للرَّسولِ على ما يَنقِمُه عليه أهلُ الشِّركِ والبِدْعةِ خَيرٌ له وأنفَعُ، وأسهَلُ عليه مِن صَبْرِه على ما يَنقِمُه اللهُ ورَسولُه عليه مِن مُوافَقةِ أهلِ الشِّركِ والبِدْعةِ.

كما قال تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ [المائدة: 59].

وعن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كان الرَّجُلُ فيمَنْ قَبْلَكم يُحفَرُ له في الأرضِ، فيُجعَلُ فيه، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ على رأسِه، فيُشَقُّ باثنتَينِ، وما يَصُدُّه ذلك عن دينِه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحَديدِ ما دُونَ لَحمِه مِن عَظمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّه ذلك عن دينِه!))رواه البخاري.